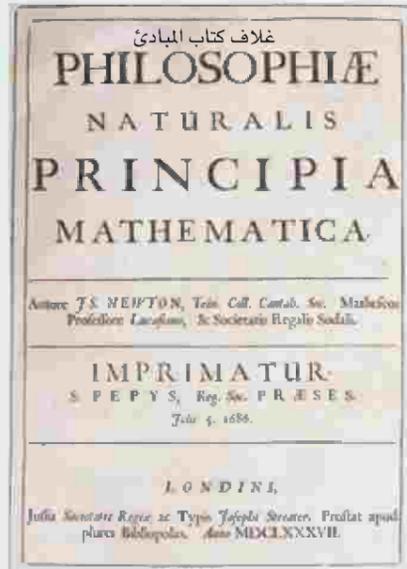


## الكتب العشرة الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية !



لأنه كان ضيق الأفق جداً ! - وهو الكتاب الذي وضع فيه قوانين الحركة الثلاثة الشهيرة التي يعرفها اليوم طلابنا في المدارس الثانوية، والتي استطاع من خلالها تفسير كل ما هو معروف عن الحركة في الكون، وتحليل الظواهر الميكانيكية الطبيعية تحليلاً متناهياً في الدقة !

هذا الكتاب العبقري جعل عدداً كبيراً من العلماء - من الذين عاصروه والذين جاؤوا بعده - يتدمرون من نيوتن لأنه لم يترك لهم شيئاً يشتغلون به ! حتى إن أحد العلماء الفرنسيين الكبار (بيير دو لا بلاس) قال عنه:

«إن نيوتن كان محظوظاً مرتين .. المرة الأولى

لأنه كان يملك قدرة هائلة لاكتشاف أساس الكون فيزيائياً .. والمرة الثانية لأنه لا يمكن أن يكون له مناسف أبداً .. لأنه لا يوجد سوى كون واحد فقط يمكن اكتشافه»!

**الكتاب الثالث: النسبية - ألبرت أينشتاين**

النظرية التي سمع عنها الجميع تقريباً، ولا يوجد أحد في العالم - مهما كانت ميوله الثقافية - لم يسمع عنها .. ولكن أغلب من سمعوا عنها لا يفهمونها !

ولكن فهم الفكرة العامة لها كاف جداً للغير متخصصين طبعاً ..

نشر العبقري أينشتاين بحثه عن النظرية النسبية العامة في العام 1916، بعد عشر سنوات كاملة من التفكير والبحث .. فتوصل من خلال نظريته تلك إلى العلاقات الأساسية للكون وقام

التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية اليوم، لم يظهر بين يوم وليلة .. إنما جاء من تراكم هائل للخبرات والمعلومات والرؤى والنظريات والأبحاث، التي توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل .. وقرناً بعد قرن ..

في هذه المقالة، نستعرض معاً الكتب العشرة الذي أثرت في تاريخ (البشرية) بشكل كامل .. نتحدث هنا عن الأصول .. أمهات الكتب كما يُسميها البعض، التي ارتكزت عليها الحضارة الإنسانية، وقامت بالبناء عليها والتطوير فيها، حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن..

هذه الكتب العشر ليست من اختياري أنا طبعاً .. بل هي نتيجة إجماع عدد من كبار المفكرين والعلماء على عدد معين من الكتب، اعتبروها أصل العلوم الإنسانية والطبيعية والتقدمية، التي تستخلص منها البشرية دائماً وحي التجربة الأولى ..

باختصار .. هي العشرة كتب الأساسية - غير الكتب السماوية - التي لولم تُكن قد وجدت .. بالتأكيد لم تكن لنعيش بالطريقة التي نعيشها الآن !

فيما بعد تم الاعتماد على هذا الكتاب بشكل كبير من قبل الدول الأوروبية في أساليب الحكم والإدارة، ولا يمكن لأحد إلى يومنا هذا - حتى مُنتقدي الكتاب - أن يُنكر دور ما جاء فيه من نصائح وتوجيهات في مُنتهى الدهاء والذكاء السياسي، مازال حتى اليوم بعض الساسة ينتهجون هذه القواعد، وتؤتي ثمارها على أفضل نحو ممكن !

الأمير .. كتاب غيّر نظم الحكم والسياسة في العالم أجمع بلا شك ..

غيّرها إلى الأفضل أو الأسوأ .. هذا الحكم متروك لك أنت !

**الكتاب الثاني: المبادئ - إسحاق نيوتن**

هذا الكتاب تم الاتفاق عليه أنه من أعظم الكتب التي أنارت تاريخ البشرية على الإطلاق، ويُعتبر هو النواة الأولى للطرفة العلمية الفيزيائية والرياضية، التي اعتمد عليها سائر العلماء والفيزيائيين والرياضيين في كافة اكتشافاتهم واختراعاتهم العلمية إلى يومنا هذا..

(المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) للسير إسحاق نيوتن .. واحد من أعظم شخصيات التاريخ الإنساني، واعتبره البعض زينة للجنس البشري .. حتى أن كتاب ( أعظم 100 شخصية في التاريخ) وضعه في المرتبة الثانية مباشرة، بعد الرسول العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم !

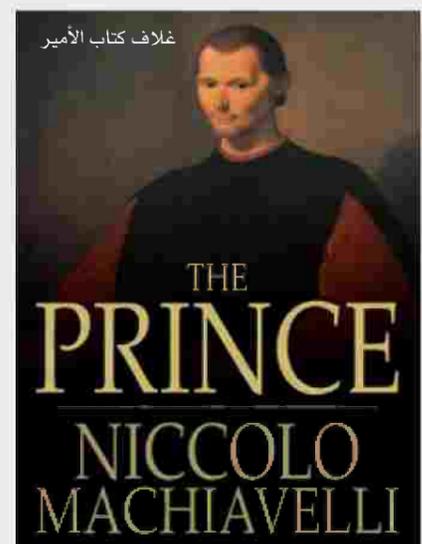
نيوتن كتب هذا الكتاب باللغة اللاتينية حتى يتجنب الجدل العقيم مع غير المتخصصين -

**الكتاب الأول: الأمير - ميكافيللي**

هذا الكتاب من أكثر الكتب ذائعة الصيت والتأثير في الوعي الإنساني، خاصة إذا تعلق الأمر بالنظام السياسي والإداري وشؤون الحكم ..

وعلى الرغم من سُمعته السيئة لدى الكثيرين من الناس بمُختلف ثقافتهم، خصوصاً مبدأ (الغاية تُبرر الوسيلة) التي أسسها ميكافيللي، والتي أصبحت مُرادفاً للانتهازية على مر العصور .. إلا أنه يبقى تراثاً إنسانياً أحدث نقلة هائلة في نظم الإدارة والحكم وتأسيس الدول ..

الكتاب تم تأليفه في العام 1513، وصدرت طبعته الأولى في العام 1532، أي في فترة القرون الوسطى المتأخرة .. وكان ميكافيللي يهدف من خلاله نقل خبراته السياسية في الإدارة والحكم إلى الأمير (لورنزو دي ميديشي)، ليعلمه كيف يصل إلى السلطة ويحتفظ بها..



ساحة تايم سكوير في نيويورك تعج بإعلانات المديا والطباعة

أما النقطة الثانية التي تستدعي التوقف أمامها فتتعلق بمحتوى اللوحة. فهذا المحتوى موجه إلى الجمهور العام، أي إلى كل شرائح المجتمع. ومثل هذا التوجه يفرض مستوى عالياً من الجدية في التعامل مع اللوحة عند إنتاجها.

صحيح أن الكل يعلم أهمية العناصر التصميمية. ولكن قلة تنتبه إلى أن خطأ بسيطاً في التعبير النصي أو التصويري يمكنه أن يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً، فيثير النقد والسخرية والنفور مما يفترض للإعلان أن يروج له. أما سباق الفنانين إلى التميز عن نظرائهم، واعتبارهم أن كل الوسائل مقبولة طالما أن الغاية هي لفت النظر، فيمكنها أن تؤدي إلى الوقوع في فخ الفضل نفسه. ففي أمريكا تعرض معلنون للمقاضاة لأن إعلاناتهم كانت تتضمن تلميحات ذات طابع عنصري مثلاً. وفي لبنان أيضاً، تصدى رجال الدين والمسؤولون أكثر من مرة لإعلانات مسيئة إلى الآداب العامة.

وكما هو الحال بالنسبة إلى كل إعلان ووجوب تقييمه على حدة، فإن حال مجموعة الإعلانات في مدينة ما، لا تقيّم إلا وفق شخصية هذه المدينة وهويتها.

الكتب العشرة الأكثر تأثيراً في تاريخ البشرية !

التقدم الهائل الذي وصلت إليه البشرية اليوم،

أن صخب هذه اللوحات بأصواتها التي لا تعد ولا تحصى بات يشكّل البطاقة البريدية السياحية لهذه المدينة. تماماً كما تشكّل صور الإعلانات الضخمة هوية «تايمز سكوير» في نيويورك ورمزاً للمدينة بأسرها.

مما لاشك فيه أن الإعلانات في الشوارع سواءً أكانت ملصقات ورقية أم مضيئة أم رقمية على شاشات عملاقة باتت جزءاً من نسيج المدينة الحديثة. ولو قارناها بالحدائق العامة (التي هي من نسيج المدن نفسها) لوجدنا أن هذه الأخيرة تقام بجهد كبير كواجب وكضرورة، في حين أن الإعلانات تفرض نفسها فرضاً لدواع اقتصادية وتجارية وأيضاً ثقافية واجتماعية. وتميل إلى إعادة الظهور والنمو حتى ولو تم اقتلاعها من مكان ما، وأحياناً لبعض الوقت فقط.. فالمسألة إذن لا تخضع لقاعدة عامة، وتبقى مرتبطة بحالة كل مدينة على حدة، بخصوصيتها العمرانية وتخطيطها واهتمامات سكانها وغير ذلك.. وفي الحالة اللبنانية التي أشير إليها في متن المقال، يمكن القول إن كثرة الإعلانات في الشوارع، رغم سلباتها الكثيرة التي تواجه بالنقد، باتت تشكّل جزءاً من معالم المدن والمساحات والطرق الواصلة ما بينها. ولهذا يمكن للبعض، وخاصة السياح أن يتطلعوا إليها باهتمام، وربما بشيء من الإعجاب أيضاً.

التصميم التي صارت تنتج الملصقات الانتخابية وشعارات الأحزاب وملصقات المناسبات. ختاماً، أصبح مظهر المدن اليوم محكوماً بالطريقة التي تسوق من خلالها لنفسها الثقافة التجارية السائدة. وعلى المسؤولين عن المدن أن يتمكنوا من ضبط عملية انتشار هذه الإعلانات وتنظيمها والنهوض بها إلى مستوى جمالي يرتفع بذائقة المشاهد ويحسن من مظهر المدينة بدل تشويهها. فالإعلان الخارجي أخطر من إعلان التلفاز أو الصحف، إذ يمكنك ألا تشاهد الأول أو أن لا تقرأ الثاني. بينما لا يمكنك تجاهل الإعلان الخارجي الذي يفرض وجوده شئت أم أبيت.

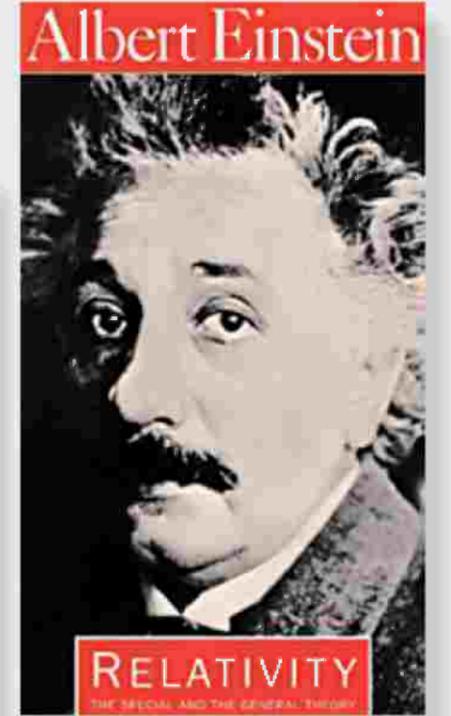
هل هناك قاعدة عامة يمكن لفرض تطبيقها أن يؤسس إلى تقييم دقيق للإعلانات في الشوارع، فيساعد على التخلص من سلباتها ويبقي على إيجابياتها؟

لو أخذنا حالة العاصمة اليونانية أثينا التي ورد ذكرها في متن هذا المقال، وحيث توجب إزالة مئة ألف لوحة إعلانية لتحسين مظهر المدينة عشية الألعاب الأولمبية، لوجدنا أن كثرة هذه الإعلانات كانت سلبية، وتشوّه منظر المدينة ومعالمها الأثرية والتاريخية. ولكن ماذا لو أزلنا مئة ألف لوحة إعلانية من مدينة لاس فيغاس الأمريكية؟ هل سيبقى منها ما يميزها كثيراً عن صحراء نيفادا المحيطة بها؟ ونحن نعرف

يربطها ببعضها البعض ..

النظرية النسبية هي باختصار شديد واحدة من أهم وأبدع النظريات التي توصل لها الإنسان من خلال عقل ألبرت أينشتاين ، الذي كان غريب الأطوار جداً كما يعرف الجميع، وكما ترى في الصورة ! .. ولكن - عادة - ما يكون غريبو الأطوار هم العباقرة الذين يساهمون في نقل البشرية جمعاء إلى الأمام ..

المكان بأبعاده الثلاثة .. والزمان كبعد رابع .. ومركب (الزمكان) المرتبط مع سرعة الضوء .. وهدم نظريات تقليدية، وإطلاق الحياة في نظريات أخرى كان يعتبرها الجميع نظريات خاطئة وفاشلة ! كل هذه المتع العلمية - المعقدة طبعاً - تجدها في كتاب لواحد من أعظم العباقرة الذين أنجبهم البشرية على الإطلاق .. ألبرت أينشتاين !



غلاف كتاب النسبية

### الكتاب الرابع: أصل الأنواع - تشارلز داروين

هذا الكتاب تحديداً ، يعتبر من أكثر الكتب التي أحدثت ضجة هائلة في عصره، استمر تأثيرها حتى يومنا هذا، ربما لاصطدامها جزئياً بالموروثات الدينية ..

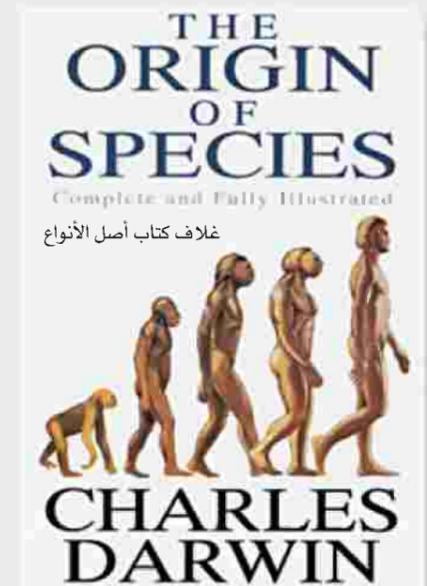
(أصل الأنواع) الكتاب الشهير الذي ألفه العالم داروين في العام 1859، يعتبر - بعيداً عن النقاط المثيرة للجدل - أحد أبرز الأعمال التي أثرت في علم الأحياء التطوري بشكل هائل، فضلاً عن كونها حجر الأساس للعقلية الأوروبية البحثية

والفلسفية، والتي امتدت حتى يومنا هذا ..

وصف أحد كبار العلماء - توماس كون - نظرية التطور بأنها نموذجاً للثورة العلمية الحديثة؛ لأنها في نظره ليست مجرد نقلة علمية تقنية شهدتها العالم، بقدر كونها تأسيساً لمنهج جديد في التفكير، وتغييراً جذرياً في العديد من المفاهيم العلمية والإنسانية والفلسفية والوجودية ..

لذلك، صنف العديد من علماء العصر الحديث كتاب (أصل الأنواع) الذي استعرض فيه داروين نظريته للتطور، بأنه في أهميته يعتبر رأساً برأس مع كتاب نيوتن (المبادئ) .. بل واعتبر البعض نظرية التطور أكثر أهمية من النظرية النسبية لألبرت أينشتاين، لأنها جمعت بين القفزة العلمية من ناحية، ونظرة الإنسان إلى هويته من ناحية أخرى ..

نظرية التطور - بلا شك - أحد أهم وأعقد النظريات المثيرة للجدل، والتي - سواءً قبلتها أو رفضتها - لا يمكن أبداً تجنبها أو تحييدها جانباً، لما جاءت به من أدلة وبراهين علمية ومنطقية دقيقة ..



### الكتاب الخامس: كفاحي - أدولف هتلر!

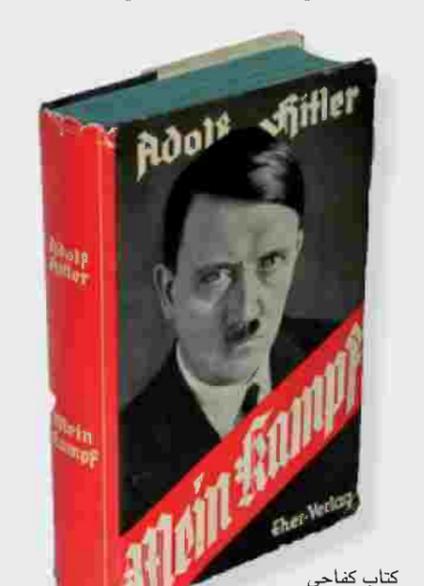
كتاب غني عن التعريف طبعاً ، ألفه الديكتاتور الألماني الأشهر في تاريخ البشرية أدولف هتلر وهو في السجن، ونُشر في العامين 1925 و 1926 .. وهو عبارة عن خليط مجنون من خطط هتلر الطموحة، وسياساته التوسعية ونظراته السياسية، فضلاً عن سيرته الذاتية ..

الكتاب كان عنوانه الأصلي الذي اختاره هتلر له هو: (أربع سنوات ونصف من الكفاح ضد

الأكاذيب والغباء والجبن)، إلا أن الناشر اقترح عليه تسميته (كفاحي) كمنوان أفضل للكتاب .. وهو ما كان ..

وقد اعترف الكثير من الساسة الأوروبيين أنهم كانوا في منتهى الحماسة والغباء لأنهم لم يقرؤا هذا الكتاب، أو لم يقرؤوه بالجدية اللازمة، لأنهم أدركوا فيما بعد أن الكتاب ببساطة كان يضم كل خطط هتلر ورؤيته السياسية والإستراتيجية، والتي نفذها حرفياً خلال الحرب العالمية الثانية! زعامة تقترب من التأليه .. سلطة مطلقة .. إرادة ذاتية بمثابة قوانين للحزب الحاكم والدولة .. نظرة سياسية دكتاتورية شمولية كاملة .. عنصرية .. عرقية .. السيادة للأقوى .. حق القوة وليس قوة الحق!

هذه هي أفكار هتلر المجنونة التي وضعها على الورق في كتابه الشهير .. والتي نفذها على أرض الواقع بعدها بعدة سنوات .. والمحصلة: أكثر من 60 مليون قتيل في أعنف حرب شهدتها التاريخ الإنساني .. أي حوالي 2.5 % من إجمالي تعداد السكان العالمي وقتها !



كتاب كفاحي

### الكتاب السادس: ثروة الأمم - آدم سميث

كتاب حمل نواة الفكر الاقتصادي الرأسمالي العالمي، الذي استطاع تغيير النظريات الاقتصادية التقليدية إلى مفاهيم الاقتصاد الحر ..

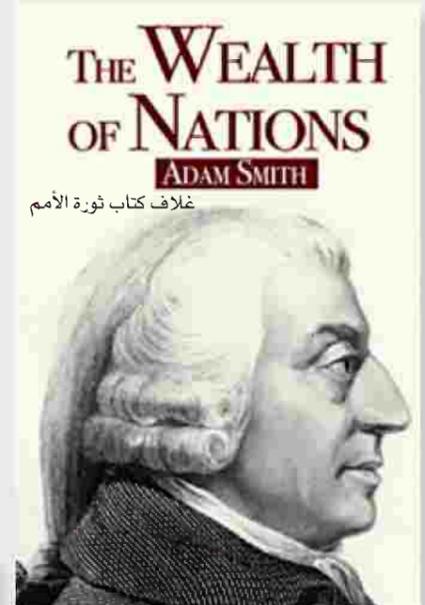
الكتاب يستحيل ألا يتعرف عليه أي مهتم بعلم الاقتصاد، لأنه ببساطة شديد أبو الإقتصاد الحديث بالمعنى الحالي العصري، وأحد الأسس الرئيسية التي قام عليها الإقتصاد الليبرالي

العالمي المعاصر ..

آدم سميث الاقتصادي الاسكتلندي البارز، الذي عاش في القرن الثامن عشر، اعتبر أن ثروة الأمم تقاس بقدراتها الإنتاجية في الأساس الأول، وأن الإنتاجية - كمقياس للثروة - يمكن مضاعفتها بتقسيم العمل - على عكس الموارد الطبيعية ..

نظرية سميث تطرقت بشكل موسع إلى توزيع الثروات على المجتمع، ووسائل تنظيم التجارة وتقسيم العمل، فضلاً عن نظرياته في حرية السوق، والعلاقة بين السوق وتنظيم العمل ودور الدولة، وطرق دفع الحركة الاقتصادية وتشجيع الاستثمار، وغيرها ..

ثروة الأمم .. كتاب قامت على أفكاره نظم اقتصادية كاملة، تطورت تدريجياً حتى وصلنا إلى معاني الإقتصاد العالمي والرأسمالية والاقتصاديات الحرة والعولمة، وغيرها من المفاهيم المترابطة ..



### الكتاب السابع: رأس المال - كارل ماركس

أحدث هذا الكتاب ثورة عقلية واقتصادية واجتماعية كبيرة جداً ، أدت لانشقاقات عقائدية وحروب باردة طالت نحو نصف قرن من الزمان .. وتحول اسم مؤلفه (كارل ماركس) إلى مذهب سياسي واجتماعي واقتصادي وديني هو (الماركسية)!

الكتاب يعرفه الكثيرون .. ولكن قليلون جداً هم من قرؤوه ..

الكتاب الألماني العظيم، الذي عاش في القرن التاسع عشر، تناول في كتابه هذا العلاقة بين

كان فلكياً واقتصادياً ومؤرخاً واستراتيجياً وعالمياً للرياضيات وفيلسوفاً .. ولكنه اشتهر أكثر بكونه مؤسس علم الاجتماع ..

مقدمة ابن خلدون جعلت الكثيرين ممن جاؤوا بعده يجدون صعوبة بالغة في الزيادة على ما وصل إليه في كتابه القيم .. لهذا السبب - وغيره - يحتفي به العالم أجمع احتفاءً شديداً حتى يومنا هذا ..

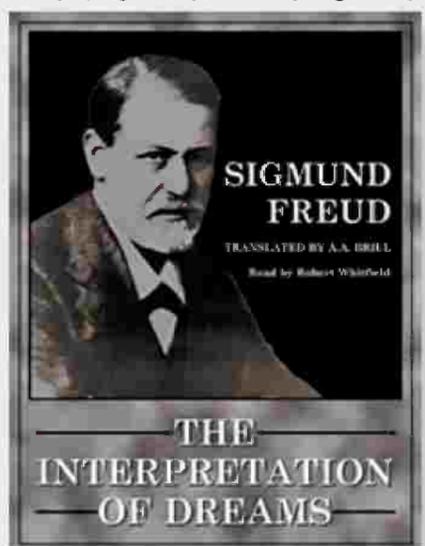
### الكتاب التاسع: تفسير الأحلام - سيجموند فرويد

الكتاب الذي يُعتبر التنظير العلمي الأساسي والأشهر في علم النفس، نظراً لشهرة ومكانة مؤلفه الطبيب سيجموند فرويد بين علماء عصره ..

وضع فرويد في كتابه (تفسير الأحلام) العديد من النظريات النفسية، التي تُعد الآن مرجعاً رئيسياً لكل المشتغلين في الطب النفسي أو المجالات ذات الصلة بعلم النفس، والتي حاول من خلالها الوصول إلى تفسيرات علمية قاطعة لماهية الأحلام وكيفية تفسيرها نفسياً ..

الكتاب ملئ بالمفردات العلمية النفسية المعقدة التي تُساهم هي ذاتها في جلب كل الأمراض النفسية الممكنة إليك أثناء القراءة! .. فضلاً عن كون الرجل مُقتنعاً تماماً أن (الجنس) هو السبب الرئيسي في كل المشاكل النفسية التي يُعاني منها الإنسان!

كتاب (تفسير الأحلام) لسيجموند فرويد .. كتاب أضاف الكثير جداً - بلا شك - لعلم النفس الإنساني، بشكل يجعله - عن جدارة - واحداً من أكثر الكتب تأثيراً في تطور البشر ..

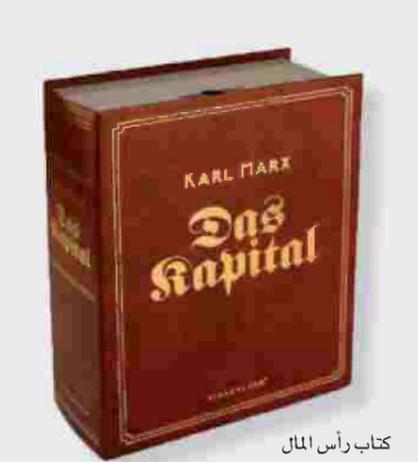


غلاف كتاب تفسير الأحلام

المنازعات الاجتماعية والإنتاج الرأسمالي، ورؤيته لعنى التطور الصناعي للبلدان، وتحليل البضائع، والاقتصاديات السياسية لرأس المال، وقوى البيع والشراء، والعديد من المفاهيم السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ..

يجب أن أقول أن الكتاب مُعقد جداً على إفهام الكثيرين، ويجب أن يكون لدى القارئ الصبر والحس النقدي والتحليلي الذي يؤهله لقراءة هذا التصورات ..

الكتاب ضخماً فعلاً ، ويتألف من 9 مجلدات! ..

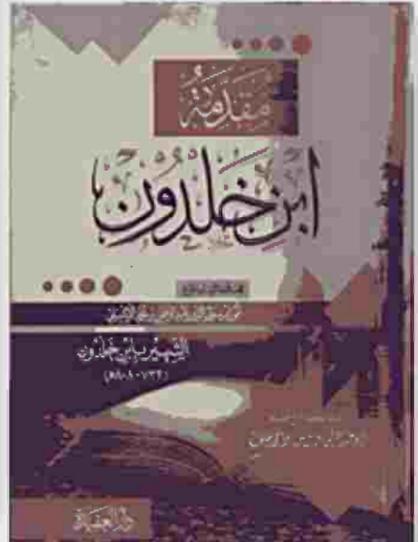


كتاب رأس المال

### الكتاب الثامن: المقدمة - ابن خلدون

هذا الكتاب الذي مازال حتى يومنا هذا رمزاً لعبقرية الحضارة العربية الإسلامية، والذي يحمل في طياته تأسيساً مباشراً لعلم الاجتماع أو السوسيولوجيا، وأتى فيها بما لم يستطع أحد من قبله أن يأتي بمثله ..

ابن خلدون العالم العربي المسلم، الذي كان - كأغلب العلماء العرب المسلمين - موسوعة علمية وثقافية متقلة تسير على قدمين؛ فقد



غلاف كتاب مقدمة ابن خلدون